أشهر الكبائر

ملخص المحاضرة العاشرة

علاء حامد
Alaa Hamed

كبيرة الكذب

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد، أهلًا ومرحبًا بكم في لقاء جديد مع هذه السلسلة الطيبة المباركة، عندما أمر الله عز وجل النبيﷺ أن يجهر بالدعوة، فقام النبيﷺ بالصعود على جبل الصفا ونادى في القوم وقال:- **"أَرَأَيْتَكُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُم؛ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قالوا: نَعَمْ، ما جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلَّا صِدْقًا، قَالَ: فإنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ"** ، فلو أن النبيﷺ جُرب عليه الكذب ولو لمرة واحدة كانت النتيجة أنهم يكذبوا الدعوة، فنخرج من هذا أن الكذب ليس معصية عادية بل يقدح في أصل التعامل مع الشخص، فلو جُرب الكذب على شخص كل علاقاته تنهدم سواء الاجتماعية أو المادية، لذلك كانت العرب تستقبح الكذب جدًا.

فالإسلام عبارة عن صدق في النهاية وأي خلل في الصدق يتحول إلى نفاق ورياء.

كبيرة الكذب

تجد في الحياة أن الكذب شيء بغيض إلى جميع الناس ولا أحد يحبه، فالشريف يأباه والعاقل يمقته والنفس النبيلة تمُجُّه وأصحاب الكذب مهانون بين الناس، فالنفاق والرياء والبدع والخرافات إنما جاءت من الكذب على الله وعلى رسول الله ﷺ، وتشويه الدين والرُسل من الكذب.

والكذب لا ينتهي عند الكذب بل هو يهدي إلى الفجور ويتبعه مصائب، فممكن يتسبب في طلاق أو جرائم أو دماء أو حروب.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا،**

وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"

وقالوا إن الكذب لا يستوطن إلا النفوس الخبيثة والأرواح السقيمة، فالكذب يقطع الأرحام وتؤكل به الحقوق وتضيع به حقوق الناس وتنتهك به الحرمات، لذلك أبغض الكبائر عند الله تعالى بلا شك الكذب، لذلك الله عز وجل جعله علامة تميز المؤمن من المنافق، فالمؤمن لا يكذب.

فقد ورد في حديث وإن كان به ضعف يرويه الإمام مالك عن صفوان بن سليم أنه قال:- **"قيل لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم : أيكونُ المؤمنُ جبانًا ؟ قال : نعم، فقيل له : أيكون المؤمنُ بخيلًا ؟ فقال : نعم، فقيل له : أيكونُ المؤمنُ كذَّابًا ؟ فقال : لا"**

فالإسلام قائم على صدق، فالذي يكذب في الأقوال يكذب في الأحوال.

والنبيﷺ اعتبر الكذب فيصل بين المؤمن والمنافق، فقال:- **"آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان."**

ليس المقصود هنا النفاق الأكبر ولكن المقصود أن هذا الشخص يفعل صفات المنافقين وأقرب للنفاق الأكبر.

ويقول ابن القيم -: <u>والإيمان أساسه الصدق والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما يحارب الآخر.</u>

لذلك الشياطين تحب الكذابين وتتنزل عليهم، قال الله تعالى:- ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢)**﴾، فالأفك من الكذب، فالكذب جاء الأول ثم الأثم، فالكاذب يكون لعبة بين يدي الشيطان ويتأثر إيمانه بشكل ضخم وتتنزل عليه المعاصي بشكل كبير.

فالكذب هو جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء العواقب المترتبة عليه وخبث نتائجه، فإنه يورث العداوة وليس مع العداوة أمنٌ ولا راحة.

وقد أخبر النبيﷺ أن آخر الزمان يكثُر فيه الكذب، فقال:- **"يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لَا يُضِلُّونَكُمْ، وَلَا يَفْتِنُونَكُمْ."**

فالآن تسمع من بعض الناس أحاديث غريبة لا أصل لها بكلام النبيﷺ.

قالت العرب:- **إذا قل الصدق قل الصديق**

أنواع الكذب

فالكذب أنواع ودرجات ومستويات.

١ الكذب على الله:- وهو أعلى وأسوء درجات الكذب، ويكون بأمرين -:

- **الأمر الأول:-** أن يُنسب لله ما لم يقوله، كأن ينسب له صفة لم يقولها أو ينفي عنه صفة أثبتها لنفسه، لذلك أكذب الناس هم أهل البدع، وأكبر فرقة في هذا الباب هم الشيعة قاتلهم الله
- **الأمر الثاني:-** الكذب في التفسير وهذا عمل أهل البدع.

٢ الكذب على النبيﷺ:- وأيضًا يكون بأمرين -:

- **الأمر الأول:-** أن يُنسب له ما لم يقوله، وفي الحديث:- **"من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"** ، فلا يجوز أبدًا أن يقول أحد قال رسول اللهﷺ إلا وهو متأكد من صحة ما يقول.

فلا بد أن تتأكد أولًا قبل أن تنشر أي حديث من صحته، وبعض العلماء تسامح في الأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال ولكن لها قواعد وهي -:

أن الحديث لا يكون شديد الضعف.

ويكون في فضائل الأعمال وليس التشريعات ولا العقائد ولا الغيبيات.

لا يكون بمفرده الذي يتكلم عن هذا الباب، مثل ما يقال عن فضل أول ليلة من رجب، فلا يوجد غير هذا الحديث الضعيف في هذا الباب، فلابد أن يكون معه حديث صحيح أو حسن يؤيد هذا المعنى إجمالًا، فلا بد أن يكون تحت أصل معمول به.

وأن الذي يقول الحديث الضعيف يقول أنه ضعيف.

وبالرغم من ذلك يوجد بعض العلماء لا يقبلوا بهذا الكلام.

- **الأمر الثاني:-** تفسير الأحاديث بغير مراد النبيﷺ، وأكثر فئة في هذا الباب هم الشيعة.

٣الكذب على العباد وبه درجات -:

- **الدرجة الأولى -:**أشد نوع وهو ما يتعلق بالأعراض.

فلا يجوز الكذب في الأعراض مهما كان حال الشخص الظاهر.

- **الدرجة الثانية -:**الكذب الذي يترتب عليه أكل الحقوق وهو أكل الزور.

قال النبيﷺ:- **"من اقتطع حقَّ امرئٍ مسلمٍ بيمينِه حرَّم اللهُ عليه الجنةَ وأوجب له النارَ، فقال رجلٌ وإنْ شيءٌ يسيرٌ قال: وإنْ قضيبٌ من أراكٍ وإنْ قضيبٌ من أراكٍ."**

فهنا في الحديث يوجد مع أكل الحق يمين غموس وهذا من أكبر الكبائر وهذا اليمين له درجتان -:

الدرجة الأولى -:شخص حلف على شيء كذبًا ولكن لا يترتب عليه حق.

الدرجة الثانية -:وهي الأسوء وهو أن يحلف زور على حق أحد.

ويمين الغموس الذي له كفارة، فيحتاج الشخص أنه يعمل له أعمال صالحة كثيرة طوال حياته.

- **الدرجة الثالثة -:**الكذب في التصريحات السياسية، فهذا يؤثر على بيوت الكثير من الناس والهلع بين الناس.

تأثير الكذب من الإعلامين والأشخاص المؤثرة غير تأثير أي شخص آخر، كذلك كذبة الشيخ أو الداعية غير كذبة أي أحد.

- **الدرجة الرابعة -:**الكذب على سبيل المزاح، فهذه من أنواع الكذب التي تبلغ الآفاق ويتحمل ذنبها كل من شارك فيها.
- **الدرجة الخامسة -:**الكذب في البيع والشراء لكي يروج به السلعة أو يخدع به الناس أو يأخذ به ثمن أكبر ويكون أقبح لو حلف.

وفي الحديث:- **"ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُم اللَّهُ يومَ القيامةِ ولا ينظرُ إليهم ولا يزَكِّيهم ولَهُم عذابٌ أليمٌ فذَكَرَ عليهِ السَّلامُ فيهم المُنْفِقَ سلعتَهُ بالحلفِ الكاذبِ."**

- **الدرجة السادسة -:**الكذب على الأبناء ولو على سبيل المزاح أو اللعب، وفي حديث عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال:- **"دعتني أمي يوما ورسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا فقالت ها تعال أعطيك فقال لها رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمرا، فقال لها رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة"**
- **الدرجة السابعة -:**كذب الأبناء على الآباء.

كأن يكذب شخص على والديه في أمر الأموال، فهذه تعد كذبة وسرقة الوالدين وعقوق الوالدين وقطع حق ولو حلف أصبح يمين غموس فاجتمت فيه العديد من الكبائر.

- **الدرجة الثامنة -:**الكذب للإيقاع بين الناس وهي النميمة.
- **الدرجة التاسعة -:**الكذب الانتقامي بسبب خلاف في مسألة ما كمسألة شرعية مثلًا.
- **الدرجة العاشرة -:**الكذب للخروج من موقف محرج.
- **الدرجة الحادية عشر:-** الكذب لجلب التعاطف.
- **الدرجة الثانية عشر:-** الكذب في الأحلام.

النبيﷺ قال:- **"من تَحلّمَ بحلمٍ لم يرهُ كُلفَ أن يعقِدَ بين شعيرتين ولن يفعلَ ومن استمعَ إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهونَ أو يفرونَ منه صُبَّ في أُذنهِ الآنكَ يومَ القيامةِ ومن صورَ صورةً عُذبَ بها وكُلفَ أن ينفخَ فيها وليسَ بنافخٍ"**

- **الدرجة الثالثة عشر:-** الكذب لإضحاك الناس.

قال النبيﷺ:- **"ويلٌ للذي يكذب ليضحك الناس، ويلٌ له، ويلٌ له."**

وفي الحديث:- وعن أَبي أُمَامَة الباهِلِيّ قَالَ: **"قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: أَنا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَببيتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وإِن كَانَ مازِحًا، وَببيتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَن حَسُنَ خُلُقُهُ حديثٌ صحيحٌ، رواه أَبُو داود بإِسنادٍ صحيحٍ" .**

من أقوال السلف في هذا الباب

قال أبو بكر الصديق -:إياكم والكذب فإن الكذب مجانب للإيمان.

قال عمر بن عبد العزيز -:ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه.

قال سليمان بن سعد -:لو صحبني رجل فقال لي:- أشترط عليّ خصلة واحدة ولا تزد على واحدة، لقلت له:- لا تكذب.

قيل من قل صدقه قل صديقه.

فكل هذا الكذب الذي نتكلم عنه فهو الكذب في الأقوال، فالأمر أوسع من ذلك فيوجد الكذب في الأحوال، كأن يكون الباطن غير الظاهر، مثل عندما توعد الله عز وجل بشيء لا بد أن تصدق وتفعله وإلا سيكون هذا كذب في الأحوال .

أعلى أنواع الصدق أن يصدق الإنسان في القول والفعل.

متى يجوز الكذب؟

١ **الكذب بغرض الإصلاح بين الناس ولكن بشرط ألا يكشفك** أحد وأن يكون الكذب محدود وليس كثير.

٢ **الكذب على الزوجة في أمور الجمال والطعام وما إلى ذلك ولكن بشرط ألا تكتشف الزوجة.**

٣ **الكذب في الحروب لمصلحة المسلمين.**

بماذا يُستعان على ترك الكذب؟

- ١ **الاستعانة بالله عز وجل والتضرع إليه وصدق اللجوء إليه**، فالرسولﷺ كان يقول-: **" اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ"**
- ٢ **تنمية عبادة المراقبة** وذلك بالتعرف على أسماء الله السميع والبصير والشهيد والرقيب... إلخ.
- ٣ **جلوس جلسة محاسبة كل يوم مع نفسك وتسأل نفسك هل كذبت اليوم؟ حتى لو على سبيل المزاح.**
- ٤ **تذكر حقوق الأخوة**، فحق المسلم على المسلم ألا يكذب.

٥ **أن تعلم أن عاقبة الكذب دائمًا شر حتى لو كانت البوادر لا توحي بذلك** وعاقبة الصدق دائمًا خير حتى لو كانت البوادر لا توحي بذلك.

فالعاقبة دائمًا للصادق مثل في قصة سيدنا كعب بن مالك.

٦ **تعرف على الصادقين**، فالصاحب ساحب، فاختر لنفسك من يصحبك إلى الخير ويعينك عليه.

جزاكم الله خيرًا

سبحانكَ اللهمَّ ربنا وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك.